القيم الأخلاقية ومساهمة المرأة الفلانية في الحفاظ عليها

دة. آمنة جالو

أستاذة باحثة في جامعة الجنرال لنسنا كونتي بسنفونيا

e-mail : dialloamina798@gmail.com

Tel +224 623 22 30 42

الملخص:

تعد القيم الأخلاقية من الأمور المهمة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية وحرص على حمايتها، إذ مدح الله سبحانه وتعالى رسوله عليه والصلاة والسلام بالخلق الحسن فقال في التنزيل: "وإنك لعلى خلق عظيم" {القلم\ ٤} ثم حثت السنة النبوية الشريفة على الحفاظ عليها في عدد من الأحاديث الصحيحة؛ وبناء على هذا فإن الحفاظ على القيم الأخلاقية وحمايتها واجب وأساس في الدين والمجتمع، ولما كانت المرأة هي المربية والمعلمة الأولى في البيت فإن من واجبها الحفاظ على هذه القيم حتى تربي الأجيال عليها. ومعلوم أن المرأة الفلانية كانت ولا تزال تحافظ على القيم الأخلاقية وتربي أولادها؛ إلا أننا نلاحظ أن التربية لم تعد كما كانت من قبل؛ إذ إن هناك قيم أخلاقية كثيرة ضاعت وحل محلها قيم أخرى جاءت من ثقافات أخرى، وبناء عليه أردنا الكتابة في هذا المجال لنبين للناس مدى مشاركة المرأة الفلانية في الحفاظ على القيم الأخلاقية في المجتمع الغيني نظرا لقلة الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع في دولة غينيا لتكون هذه الدراسة مرجعا لمن يريد التوسع في هذا المجال. والهدف منها هو بيان مكانة المرأة الفلانية ودورها في حماية القيم الأخلاقية، حيث ستوضح الدراسة الدور البارز للمرأة عند الفلان، وكيف تحافظ على هذه القيم، وستبين أهم أسباب ضياع القيم الأخلاقية اعتمادا على القرآن الكريم وعلومه؛ حيث يعلمنا القرآن أهمية القيم الأخلاقية وكيف نحافظ عليها.

الكلمات المفتاحية:

الحفاظ ـ القيم الأخلاقية ـ المرأة الفلانية ـ غينيا ـ مساهمة

Résumé :

Les valeurs morales font partie des questions importantes apportées par la loi islamique qui tenait à les protéger. Dieu, Le Tout-Puissant a loué Son Messager, (que les prières et la paix de Dieu soient sur lui), pour sa bonne moralité, et a dit dans la révélation : « Et en effet, vous avez un noble caractère. » Alors la noble Sunna du Prophète (que les prières et la paix de Dieu soient sur lui) nous a exhorté à les préserver et à les promouvoir : « Je n'ai été envoyé que pour parfaire les bonnes mœurs ». Ainsi, promouvoir les valeurs morales est un devoir et un fondement dans la religion et la société. Et la femme étant la principale éducatrice et enseignante au foyer, il est de son devoir de préserver ces valeurs afin de les transmettre aux futures générations. C'est sur

cette base que cette étude met en exergue la participation de la femme peule à la préservation des valeurs morales dans la société guinéenne.

Le but de cette étude est de clarifier le statut de la femme peule et son rôle dans la protection des valeurs morales. L'étude expliquera le rôle prédominant des femmes peules dans le processus éducatif et de transmission des valeurs morales religieuses, tout en montrant les causes les plus importantes de la perte de ces valeurs dans la société peule en Guinée et en se basant sur le coran comme la science du coran nous enseigne.

Mots-clés :

Préservation - valeurs morales - Femmes peules - Guinée - contribution

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي قال في كتابه العزيز مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم: "وإنك لعلى خلق عظيم" {القلم\ ٤}، ثم الصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين القائل في الحديث الشريف: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[1].

لقد تراجعت القيم الأخلاقية في مجتمعاتنا تراجعا ملموسا خلال السنوات الأخيرة، ومن أخطر الجوانب الحياتية تضررا جراء تراجع دور المرأة في تربية الأبناء هو الجانب الأخلاقي، حيث لم تعد المرأة تؤدي دورها المنوطة بها في التربية؛ وعليه ضاعت القيم الأخلاقية وأصبحنا نرى سلوكيات الأطفال منحرفة حيث وفدت إلينا سلوكيات كثيرة من الغرب عن طريق الإعلام أو الشبكات العنكبوتية وغيرها من الطرق.

إشكالية الدراسة:

ما هي العوامل التي أدت إلى تراجع القيم الأخلاقية؟ وما هي مكانة المرأة الفولانية ودورها في استرجاع القيم الضائعة في المجتمع الغيني؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

التعريف ببعض المصطلحات الأساسية المتعلقة بالقيم الأخلاقية والمرأة الفلانية.

تسليط الضوء على أسباب ضياع القيم الأخلاقية في المجتمع الغيني.

توضيح مجالات عمل المرأة الفلانية لاسترجاع القيم الضائعة في المجتمع الغيني.

[1] أخرجه الإمام أحمد في المسند، الحديث رقم: ٨٩٤٢، ج١٤ . ص٥١٢.

خطة انجاز البحث:

تتمحور خطة انجاز هذه الدراسة حول ثلاثة محاور، تسبقها مقدمة، وتليها خاتمة تتضمن أهم الاستنتاجات.

المحور الأول: تحديد مصطلحات البحث (القيم- الأخلاق- القيم الأخلاقية – المرأة الفلانية – الأخلاق عند الفلان).

المحور الثاني: أسباب ضياع القيم الأخلاقية في المجتمع الغيني؛

المحور الثالث: مجالات عمل المرأة الفلانية لاسترجاع القيم الأخلاقية الضائعة في المجتمع الغيني

خاتمة: أهم استنتاجات البحث.

المنهج المتبع: لمعالجة هذا الموضوع سأتبع المنهج الوصفي التحليلي.

المحور الأول: تحديد مصطلحات البحث:

يتمحور هذا المحور حول تحديد مصطلحات البحث لأن معرفة المصطلحات من الأشياء المساعدة على فهم الموضوع، وبناء عليه سنوضح معنى القيم والأخلاق والقيم الأخلاقية والمرأة الفلانية.

القيم لغة: القيمة، قيمة الشيء: قدره، وقيمة المتاع: ثمنه، وجمعها قيم"2.

القيم اصطلاحا: هي موجهات السلوك لكل إنسان، مستندة في تشكيلها إلى عدة عوامل أبرزها: العقيدة الدينية، والخبرة الشخصية، والتنشئة الحاصلة، والثقافة الاجتماعية بما فيها من عادات وتقاليد وأعراف3.

الأخلاق لغة: الخلق والخلق: السجية، ويقال: خُلق المؤمن وخُلق الفاجر، وفلان يتخلق بغير خُلقه، أي يتكلفه4.

وقيل: "الخلق هو الطبع والسجية، وقيل: المروءة والدين"5.

"الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء. ومن ذلك: الخلق وهو السجية لأن صاحبه قد قدر عليه.6"

الأخلاق اصطلاحا:

---

2 المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص: ٥٢١.

3 التربية السياسية للأطفال، لسعيد إسماعيل علي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٢١٩.

4 الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ط: ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٤٧١.

5 القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص٧٩٣.

6 معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ص٣٢٩.

الأخلاق عام وخاص، فمن العام تعريف الغزالي للخلق حيث قال: "الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية"7. ومن خلال هذا التعريف يمكن إدراج الخلق الحسن والقبيح والمذموم والمحمود.

أما التعريف الخاص للخلق "فيطلق على التمسك بأحكام الشرع وآدابه فعلا وتركا، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "البر حسن الخلق"8. 9.

وعُرّف الأخلاق بأنها: "حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رؤية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيا من أصل الطبع، ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرب، وربما كان مبدئه بالرؤية والفكر، ثم يستمر أولا فأول حتى يصير ملكة وفكر10.

القيم الأخلاقية: هي مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحر مع المجتمع، وعلى التوافق مع أعضائه11.

من المهم جدا في هذا الصدد التفرقة بين السلوك والأخلاق، لأن هناك فروقا دلالية دالة تفصل بين هذين المفهومين. فلقد كتب الفيلسوف جيرار بنسوسان كتابا صغيرا ممتازا في عام ٢٠١٩ بعنوان "الخلقين"12 حيث ميز فيه بدقة بين الأخلاق والسلوك فقال: "السلوك هو المجتمع والجماعية، فهو ينبع من الاسم الاجتماعي، من الاتفاقيات التي يتم تمريرها بين الأفراد ويحدد النظام المطلوب. فما هو سلوكي في مجتمع ما قد يكون غير سلوكي في مجتمع آخر. ومن هنا جاءت الحاجة إلى سلوك ثاني، وهو سلوك الفرد بشكل خاص، والذي يتمحور مبدأه حول العدالة: وهي التي تسمى الأخلاق، فالأخلاق فردية فإذا لم تلغها بشكل نهائي، فإنها تستحوذ على عناصر سيكولوجية (أخلاق لا تقبل الجدل ولا يمكن دحضها) مثل الكرم والعدالة. وفي العمل الفردي، تسود الأخلاق على السلوك، فهي ليست مسألة التصرف وفقا لتوقعات المجتمع، ولكن التأكد في كل مرة من أن الإجراء المتخذ مبرر بالعدالة، فالعدالة، وفقا لأفلاطون، هي فضيلة الفضائل، وهي التي يقوم عليه توازن المجتمع والعيش المشترك.

---

7 إحياء علوم الدين، الغزالي، ٤٧\٣.

8 صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والاثم، ١٩٨٠\١٤، رقم ٢٥٥٣.

9 الفساد الأخلاقي مظاهره وأسبابه وأثره في الحضارات، د. سليمان بن قاسم بن محمد العيد، مجلة البحث العلمي الإسلامي العدد ٥٦ . ٣٠\٠٤\٢٠٢٤، ص٦٥.

10 تهذيب الأخلاق لابن مسكويه، دار الكتب العربية، بيروت ١٩٨٥، ص٢٥.٢٦.

11 المدخل إلى القيم الإسلامية، د. جابر قميحة، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٤، ص١٤.

12 Gérard Bensussan , Les deux morales, Paris, Vrin, 2019.

مكانة المرأة الفولانية: يقول آمادو همباتي با في وصف الأم: «تعتبر الأم عند الفلان كغرفة نوم وغرفة لتناول الطعام ومرحاض، فهي تحمل جنينها خلال تسعة أشهر وزيادة، وتخاطر بحياتها لكي تلد، فلا يمكننا رفض أي طلب تطلبه منا. أليست هي التي حملتنا مرة أخرى على ظهرها بعد ولادتنا لمدة أربعة وعشرين شهراً، بعد أن علقت على ثدييها، سواء في حضنها أو مربوطة خلف ظهرها؟ من يستطيع أن يدفع ثمن والدته؟ لا أحد، أعظم شهادة امتنان يمكن إظهارها لها هي إرضاء كل رغباتها، مهما كانت بشغف»13.

فهذا النص يبين مكانة المرأة عند الفلان، فهي ذات مكانة عالية لا يمكن العيش بدونها، ويجب احترامها وتقديم طلباتها وإرضائها لأنها تضحي بنفسها للولادة وتعتني بمولودها حتى يكبر وتعطيه كل ما لديها، ولذا يهتم بها الأولاد عندما يكبرون ولا يرفضون لها طلبا.

أخلاق المجتمع الفلاني: لا يفوت على المتتبع لأخلاق الفولان أنها تتميز من عدة نواحي منها: أن الشخص إذا أراد أن يقدم شيئا للكبير يجب عليه أن يجلس حتى يكون تحت المقدم إليه، وكذلك عندما يريد الصغير أن يسلم على الكبير يجب عليه أن يجلس، ولا يحق للطفل أن ينظر إلى الكبير عندما يحدثه هذا الأخير بل عليه أن ينظر إلى التحت.

نلاحظ بعض الآداب في اللغة الفولانية نفسها؛ حيث لديهم مصطلحات خاصة للتأدّب مع المخاطب لاحترامه. ويكون مخالفا لما يتم تداوله مع المخاطب العادي، فعلى سبيل المثال: كلمة "نام" يقال للمخاطب لاحترامه "houylike" وللشخص العادي "dhaanike" وكلمة جاء" يقال للمخاطب العادي "Ari" وللمخاطب لاحترامه "seenike" وكلمة "الرأس" يقال للمخاطب العادي "Hoore" وللمخاطب لاحترامه "Sala". وهذا موجود بكثرة في اللغة الفلانية.

ويمكن في هذا المقام التنبيه على بعض الطرق للحفاظ على الأخلاق، فعند الفولانيين يستخدمون طريقة للحفاظ على بعض الأخلاق دون أن يعي الشخص أن ذلك من الحفاظ على القيم الأخلاقية والمعنوية، فمثلا يستخدمون كلمة المنع على فعل شيء من الأشياء بأسلوب قد يُخيف الفاعل، ولا يستطيع فعل ذلك الشيء بسبب خوفه، مثل قضية الشرف حيث تربي البنت على أن تحافظ على شرف العائلة فيخيفونها إذا تزوجت ووجدت غير بكر يعتبر جريمة وعار في حق العائلة كلها، في القديم كانت ليلة الزفاف ينظر هل البنت بكرا أم لا؛ ولكنها عندما جاء المتطرفون فبدل أن يحسنوا هذه العادة ألغوها على أساس أن هذا حراما في الدين، وأصبح الآن في كثير من الأحيان

13 Amadou Hampâté Bâ, Contes initiatiques peuls, op. cit. p 187

لا تعرف العائلة ذلك، ويشتغل بعض الأزواج هذا الوضع لاتهام البنت بعد سنوات من الزفاف أنها لم تكن بكرا عند الزواج، ولا يكون للبنت أي شاهد.

وهناك أيضا بعض الأمثلة للحفاظ على بعض الأخلاق، مثل طريقة الجلوس، يُخيفون الشخص أنه إذا جلس بطريقة معينة ووضع ويديه على فمه سيموت والداه مثلا، ولا يستطيع الجلوس بتلك الطريقة كيفما كان، مع أن العلة في الجلوس بتلك الطريقة أن الجالس يظهر في حالة الشفقة والكسل.

ومن الأمثلة كذلك عدم رمي الأكل وإفساده، ويقولون في هذه الحالة أن من رمى الأكل فكل حبة ستبكي حتى تسمعها ملائكة الرحمن، ولا أحد يتجرأ على رمي الأكل في تلك الحالة؛ مع أن ذلك فقط لترغيب الناس على عدم رمي الأكل، ولكن يستخدمون هذه الطريقة لكيلا يتجرأ الشخص على الاقتراب من الفعل، وهي طريقة مفيدة جدا، لو تم تحسينها وبيان علتها بطريقة صحيحة.

المحور الثاني: أسباب ضياع القيم الأخلاقية في المجتمع الغيني:

من أسباب ضياع القيم الأخلاقية: العنف الأسري، ضعف السياسات المتبعة في مجال التعليم، الغزو الثقافي الوافد من الغرب، الفقر والجهل، ويمكن تفصيل ذلك في الآتي:

السبب الأول: العنف الأسري

تعتبر مشكلة العنف الأسرى من أكثر المشكلات التي تؤثر سلبا على القيم الأخلاقية في مجتمعاتنا، فالعنف يؤثر على الأسرة بالكامل التي تعد نواة المجتمع، كما أن تلك المشكلة تؤدي مباشرة إلى انتشار الفساد والكثير من الأخلاقيات السلبية التي نراها حاليًا في مجتمعاتنا بصورة واضحة، وللمرأة دور كبير في تخفيف العنف الأسري باعتبارها أساس الأسرة.

إن ما يفعله المجتمع الفوتي من الزواج الإجباري؛ فيجبرون البنت على الزواج لرجل لا تحبه ولا ترغب في العيش معه، وبالتالي تأتي هذه البنت ولا تفعل أي مجهود لنجاح هذا الزواج فتستخدم العنف وتتعلم الأخلاق المنحرفة لتحول زواجها إلى جحيم حتى لا يرغب فيها الزوج ويطلقها، والزواج بين الأقرباء كذلك حيث يعطي لكل العائلة الحق في التدخل بين الزوجين في حالة حدوث مشكلة بينهما، غالبا ما يستخدمون الانحراف الأخلاقي لحل المشكلات14.

[14] للمزيد من المعلومات حول هذه الظاهرة انظر: بخثي المعنون ب: العنف الأسري في المجتمع الفوتي: أسباب وحلول ص٢٥٥.

Rapport national sur l'élimination et le prévention des violences à l'égard des femmes/ filles p10

السبب الثاني: ضعف السياسات المتبعة في مجال التعليم:

تسمّى وزارة التعليم (في غينيا) وزارة التربية والتعليم إلا أن مجال التربية فيها ضعيف جدا، إذ وضعت الحكومة برامج متنوعة في التعليم إلا أن أغلب هذه البرامج لا تساعد في الحفاظ على الأخلاق النبيلة، فهي قد تؤدي إلى الانحراف في الأخلاق، والمرأة باعتبارها معلمة ومربية يجب أن تحافظ على الأخلاقيات النبيلة وأن تحاول جاهدة محاربة الأخلاقيات المنحرفة.

لقد أصبح التعليم في بلدنا يعاني واقعا مؤلما، نجد بصفتنا مدرّسات متمرّسات أن حال أخلاقيات كثير من الطلبة صعبة في التعامل معها في ظل سوء الأخلاق الذي أصبح سمة أساسية من سمات هذا الجيل، وفي المقابل عندما تتحدث إلى الطلاب يروُون لك قصصا غير أخلاقية لبعض المدرسين، إذن هناك أزمة كبيرة في العلاقة بين المعلم والطالب تحتاج إلى إعادة نظر.

إن سبب أزمة القيم الأخلاقية في المجتمع بقطاع التربية والتعليم، يأتي من مطالبة فصل التعليم عن الأخلاق وإسقاط القيم الأخلاقية والروحية من النظم التعليمية والإعلامية، وتعويضها بالقيم الصناعية والرأسمالية المستبدة بالإنسان التي تعمل على الإجهاد لقيم الفطرة التي خُلق الإنسان عليها، فهناك الكثير من الدارسين للعربية حاليا في غينيا يرسلون أولادهم إلى المدارس الفرنسية باعتبارها مستقبل الدولة دون وعي منهم أن الأطفال لا يتعلمون شيئا من الأخلاق في هذه المدارس، وبالمقابل فالمدارس العربية أيضا أصبحت لا تعطي دروسا فيما يتعلق بالقيم الأخلاقية، وانطلاقا من هذه المشكلة، لابد من التساؤل عن كيف السبيل إلى صياغة مشروع متكامل يعمل من جهة على ضبط الإطار المفاهيمي للأخلاق والقيم وبيان طرق إدماجها في النظم التعليمية والإعلامية؛ لأن هذه المجالات تعد الأوسع والأخطر لإعادة ترتيب منظومة القيم عند الغينيين.

السبب الثالث: الغزو الثقافي الوافد من الغرب:

لقد جاءتنا ثقافات من جميع أنحاء العالم وأخذناها كلها دون أن نميز بين الصحيح والفاسد، تركنا ثقافاتنا وقلدنا الغرب، وهذه الأخلاقيات تزرع فينا عبر التلفيزيون والراديو وجميع وسائل الإعلام، بما فيها الشبكات العنكبوتية والأفلام والمسلسلات وغير ذلك، يجب على المرأة أن تراقب أطفالها وتراقب هواتفهم وما يشاهدونه في التلفازة، وتختار لهم مدرسة مناسبة تربي الأولاد على الحفاظ على القيم الأخلاقية.

الاغترار بالثقافة الغربية ومن ثم الانجراف بأشكال متهورة وراء الحياة الغربية، قد أصابت طامتها الكبرى إفريقيا والأفارقة جمعاء إلا من سلم ربه، وتتشكل ضحاياها الأولى من الشبيبة الإفريقية التي باتت تئن من ويلاتها الوخيمة، ولقد راح السواد الأعظم من الشباب الأفارقة يبحثون في مزابل الحياة الغربية الموبوءة منتقين منها أرذلها، آخذين ذلك

نموذجا رائعا للحياة الأفضل، رامين وراء ظهورهم بالقيم الإنسانية والأخلاق الحسنة، متجردين تمام التجرد من القيم الإفريقية الأصيلة التي ميزت حياتهم في كل مساراتها، وقد يشاطرني القارئ الرأي إذا قلت إن الفساد الأخلاقي قد أضحى ظاهرة عالمية تقض مضاجع المجتمعات في الوقت المعاصر وتهز كيانها، بيد أن تضرر الشبيبة الإفريقية بهذه الظواهر الموبوءة أعظم وأجسم، وعواقبها عليها أشد من غيرها15.

السبب الرابع: الفقر والجهل:

لقد أدى الفقر والجهل إلى الانحراف في الأخلاق، رأيت مؤخرا بعض الشباب تحولوا إلى مثليين جنسيين بسبب الفقر ظنا منهم أن هذا الاختيار سيجعلهم يسافرون إلى الخارج وسيصبحون أغنياء باللواط، ويساندهم عائلاتهم دون وعي منهم، يقول دكتور موسى عمر كوناتي: "الشذوذ الجنسي الذي صار مرتعا خصبا في العالم، ليس فيه إلا هلاك الإنسانية، ولا يهدف إلا إلى تقويض هذه الإنسانية، ولقد كان سببا من أسباب هلاك قوم النبي لوط عليه السلام، وأكيد أنه سيكون حتما من التهلكة التي ألقى معظم الشباب بأنفسهم إليها، وليس خافيا علينا المخاطر الصحية التي تهدد الأمم والشعوب في الوقت المعاصر نتيجة تلكم الموبقات المنتشرة بين ظهرانينا، ولا تنسوا، أن ما نعيشه من مشاكل صحية واقتصادية وطبيعية... ما هي إلا عقوبة إلهية لتمرد الإنسان على الفطرة السليمة. فإياكم إذن والشذوذ والعلاقات غير الشرعية، وتذكروا جيدا، أن النزوة العابرة في لحظات الطيش قد تدمّر حياتكم كلها، والحياة كما تعلمون غالية لا ثمن لها، فلا تفرّطوا فيها ولا تغامروا، وعليكم بمراقبة الله تعالى في السر والعلن، وقد قال مَن لا ينطق عن الهوى: (لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا...)16 ﴿وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ {العنكبوت\٤٠}"17.

المحور الثالث: مجالات عمل المرأة الفولانية لاسترجاع القيم الأخلاقية الضائعة في المجتمع الغيني:

رأينا في المحور الثاني أسباب تدهور القيم الأخلاقية في غينيا، وعليه نبين هنا مجالات عمل المرأة في تحسين القيم الأخلاقية واسترجاعها حتى نتمكن من العيش في بيئة خلقية ممتازة.

أولا: مجال التربية:

15 ظواهر أخلاقية وافدة إلى إفريقيا...قراءة في روافدها وانعكاساتها، لموسى عمر كوناتي، مقالة نشرت في المجتمع الإفريقي .

16 راجع الحديث بطوله في سنن ابن ماجة في كتاب الفتن برقم ٤٠٠٩.

17 ظواهر أخلاقية وافدة إلى إفريقيا...قراءة في روافدها وانعكاساتها، لموسى عمر كوناتي، مقالة نشرت في المجتمع الإفريقي

"التربية هي عملية تعليم الأفراد القيم والمثل والأخلاق التي تجعلهم مقبولين في المجتمع وفاعلين في وسطه وقادرين على تنميته وتطويره نحو الحسن"18.

"والتربية الاجتماعية لا تقتصر على مؤسسة واحدة؛ وإنما على مؤسسات عديدة كالأسرة والمدرسة والجامع ووسائل الاعلام والمجتمع المحلي ومكان العمل، فإذا أدت هذه المؤسسات مهامها التربوية على أتم وجه فإن سلوك الفرد وتفاعلاته وقيمه ستكون جيدة ويكون الفرد متكيفا مع المجتمع"19.

يقول محمد عبده: «إن أمر التربية هو كل شيء...وعليه يبنى كل شيء، ويقول أيضا: إن الإنسان إذا افتقد التربية افتقد كل شيء»20.

بناء على هذا فإن للمرأة الفلانية دور عظيم في بناء الأخلاق، فيمكنها إنشاء مؤسسات تعليمية والعناية بشأن التعليم لتربية العقول والنفوس، وإيصال هذه المؤسسات إلى حد يمكن المتربي من بلوغ كمال السعادة، فالتربية أهم من التعليم في حياتنا الحالية فكما يقول المثل: "العلم بلا أدب كالبئر بلا ماء"، ويجب على المرأة كذلك أن تقوم بالتعلم لكي تكون مربية الأجيال الحالية والمستقبل لأنه بدون علم لن تتمكن من التربية الصحيحة، وعليها كذلك أن تقوم بتعديل السلوكات المنحرفة لدى الشباب والأطفال، كما يجب عليها تجنب سلوك العقاب الشديد في تربية الأبناء لأن ذلك لا يؤدي إلى اكتساب الفضيلة، قال محمد عبدوه: "إن المعاقبة على الذنب بالإهانة والقسوة لا تؤدب النفس، لأنها تخفي الذميمة ولكنها لا تمحوها، بل تزيدها وتقويها وتكون كامنة حتى إذ تسنى لها الظهور في أقبح الصور، وأما الذي يمحوا الأخلاق الذميمة فهو الإقناع بقبحها وضررها وحسن المعاملة وتكريم النفس حتى تتكرم وتأنف من كل ما ينافي الشرف"21.

كما يمكن للمرأة الفولانية أن تعقد اجتماعات ولو مرة واحدة في الأسبوع داخل البيت جلسة حوارية أسرية تناقش فيها العائلة ما يحتاج إلى نقاش، لكي يطمئن الوالدان على أحوال أولادهم الدراسية والعملية، ويقفان على المشكلات التي يتعرض عليها أولادهم في حياتهم ويتشاورون في حلها، مع حرص الآباء والأمهات على غرس القيم الأخلاقية النبيلة والأخلاق الكريمة في نفوس أبنائهم.

ويجب على المرأة الفولانية كذلك أن تقوم بتربية الأبناء على الالتزام بالمبادئ الدينية والتأدب بمكارم الأخلاق، وأن يلتزموا بالصدق أثناء المزاح والتسلية، ويبادروا إلى الاعتراف بالخطأ عند التقصير...

18 مواقف الأسرة العربية من اضطراب الطفل، نصار كريستين، دار جروس برس، ١٩٩٣، ص١٢٢.

19 دور التربية في مواجهة الفساد: الأسباب والمعالجات، حاتم جاسم عزيز وعبد الرزاق جدوع محمد، جامعة ديالي كلية التربية الأساسية ٢٠١٤. ص١١.

20 الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده: في الكتابات السياسية، ص١٣٧.

21 محمد عمارة: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده: في الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات ص١٨٠.

ويجب على المرأة كذلك أن تجعل من نفسها قدوة صالحة بامتثال ما تعلمه لأولادها، فالأخلاق لا تُكتسب بالنصائح العابرة بل بالقدوة والمثل الأعلى.

ثانيا: مجال الدعوة والتدريس:

أول ما يجب أن تقوم به المرأة هو التعلم فإذا تعلمت فيمكنها أن تعلم وتربي أجيالا، فالمرأة هي التي تلد وتربي الملك والسلطان والرئيس والوزير والأستاذ والأب والأخ والابن...وغير هؤلاء، فلديها مسؤولية كبيرة حتى تتمكن من تربية الأجيال.

فهناك آيات كثيرة وأحاديث عديدة تدلنا على فضل العلم والتعلم، ولم تخص الرجل في التعلم، بل حث الإسلام الرجال والنساء على التعلم، فالدعوة إلى الله ليست خاصة بالرجال، فالمرأة يمكنها أن تكون داعية، تتعلم الدين وتعلم الرجال والنساء وتدعوا إلى الله تعالى، فها هي السيدة عائشة كانت من أكثر الصحابة رواية للحديث.

والمرأة المسلمة بصفة عامة والفولانية بصفة خاصة مطالبة بالعلم والتعلم، ليس استجابة لبعض الدعوات التحررية التي تنحت عن الطريق القويم وطالبت بتعلم المرأة لأهداف لا مجال لذكرها، وإنما استجابة لعقيدتها وامتثالاً لأوامر ربها، فإذا استقامت شخصيتها بالعلم تحرر فكرها وعقلها من الخرافة والجمود والتخلف والتبعية، وتقوت عقيدة التوحيد في نفسها لما تعلمت من الحق: (أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلالْبَٰبِ)، وبذلك فقط يمكنها أن تواجه مختلف المشكلات التي تواجهها في واقع حياتها، بروح إيمانية عالية مكتسبة من علمها ومعرفتها الجيدة بشريعتها ودينها، كما تستطيع تحدي كل أشكال الزيف والانحراف والظلم.

ثالثا: مجال السياسة والتجارة:

تحظى النساء على المستوى العالمي والمحلي بفرص محدودة جدا من القيادة والمساهمة في العملية السياسية، إذ يعانين من التقييد في أدوارهن كناخبات أو مسئولات. وهذا يحدث بالرغم من إثباتهن لقدراتهن كقائدات ورائدات في عملية التغيير، بالإضافة إلى حقهن في المشاركة في العملية الديمقراطية بشكل متساو مع الرجل.

وتواجه النساء العديد من المعوقات التي تحول دون مشاركتهن في السياسية؛ كالحواجز الهيكلية التي تفرض من خلال مؤسسات وقوانين عنصرية أو تأويل النص لإجبارها على التمسك بظواهر الآيات والأحاديث لا تزال تحد من خيارات المرأة في الترشح للمناصب .

وفي بعض الأحيان نرى المرأة هي نفسها التي ترفض المناصب السياسية، وإذا رفضت تلك المناصب فلا يمكن للنساء الدخول في مجال السياسة، فالرجال لا يعرفون كل ما يساعد المرأة، وكل ما تحتاجه المرأة من وظيفة وغيرها، أما إذا كانت هناك نساء في الحكومة فيمكن أن تدافع عن حقوق المرأة وتقترح مناصب تتعلق بالمرأة وتعطي فرص

للمرأة حتى تستمتع بكل حقوقها، فعلى المرأة الفلانية أن تواجه واقعها وتدخل في السياسة دفاعا على الباقيات وتشجيعا لهن ومساعدة في تقدم الوطن.

أما في مجال التجارة فقد تقرر حق المرأة في العمل منذ العهد النبوي، سواء العمل المهني أو العمل الدعوي. أي أن مشاركة المرأة في التكليف والعمل والمسؤوليات قررتها الشريعة الربانية، وتعد من مميزات هذه الحضارة، التي اعترفت منذ قرون بحقوق المرأة في كتابها المبين وبسطتها من خلال السنة النبوية الشريفة، ونالت بها المرأة مكانتها الطبيعية إلى جانب الرجل، وقد بسطت آيات كثيرة هذا الأمر، وفي ذلك يقول تبارك وتعالى: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" {النحل: ٩٧}.

كما قررت أحديث كثيرة هذا الوضع وفي ذلك روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: طلقت خالتي، فأرادت أن تجد نخلها فزجرها رجل أن تخرج، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "بلى فجدي نخلك، فإنك عسى أن تصدّقي أو تفعلي معروفاً"[22].

وهذه النصوص تدل على أن المرأة في العهد النبوي كانت تعمل وتجتهد ولم يمنعها النبي عليه الصلاة والسلام من العمل، وأكبر دليل على ذلك أن أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها كانت من كبار التجار في مكة.

وبناء على هذا فيجب على المرأة الفولانية أن تقوم بدورها في التجارة، فيمكنها أن تكون تاجرة، اقتداء بالسيدة خديجة رضي الله عنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ تجارتها يمكن أن تساعد المجتمع، ويمكنها مساعدة أسرتها وتتمكن من تربية أولادها، وتساعدهم في دراستهم ومستقبلهم.

هذه بعض المجالات التي يمكن للمرأة الفلانية أن تساهم فيها لاسترجاع القيم الأخلاقية الضائعة، اكتفينا بهذه لضيق المساحة وإلا فهناك مجالات أخرى يمكنها القيام دور مهم لاسترجاع هذه القيم، كالمشاركة في برامج إذاعية أو تلفزية، وكذلك في الأفلام المحلية لنشر القيم الإنسانية.

خاتمة:

نلاحظ من خلال هذا البحث أن:

- منظومة قيمنا مستهدفة بالعديد من التحديات والشبهات والمؤامرات لإحلال منظومة أخرى منها: العنف الأسري، ضعف السياسات المتبعة في مجال التعليم، الغزو الثقافي الوافد من الغرب، الفقر والجهل.

[22] أخرجه مسلم في صحيحه، الحديث رقم ١٤٨٣.

- يجب على المرأة الفلانية أن تقوم بدورها التربوي والتعليمي والدعوي والإرشادي والسياسي والتجاري لتبقي المجتمع على القيم الأخلاقية الإسلامية النبيلة.
- توجد مجالات عدة يمكن للمرأة الفلانية أن تساهم من خلالها لاسترجاع القيم الأخلاقية الضائعة.
- المرأة بصفة عامة والمرأة الفلانية على وجه الخصوص خُلقت لتكون أُما ومصدرا للحنان والعاطفة وتخفيف الضغوط النفسية والحياتية عن أسرتها والمحيطين بها.

لائحة المصادر والمراجع:

- إحياء علوم الدين، الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، دار المعرفة، بيروت.
- الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده: في الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات، محمد عمارة.
- الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده: في الكتابات السياسية.
- التربية السياسية للأطفال، لسعيد إسماعيل علي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨.
- تهذيب الأخلاق لابن مسكويه، دار الكتب العربية، بيروت ١٩٨٥.
- دور التربية في مواجهة الفساد: الأسباب والمعالجات، حاتم جاسم عزيز وعبد الرزاق جدوع محمد، جامعة ديالي كلية التربية الأساسية ٢٠١٤.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ط: ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠.
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، ١٩٥٥.
- ظواهر أخلاقية وافدة إلى إفريقيا...قراءة في روافدها وانعكاساتها، لموسى عمر كوناتي، مقالة نشرت في المجتمع الإفريقي .
- العنف الأسري في المجتمع الفوتي: أسباب وحلول، دة. آمنة جالو، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، ٢٠١٩.
- الفساد الأخلاقي مظاهره وأسبابه وأثره في الحضارات، د. سليمان بن قاسم بن محمد العيد، مجلة البحث العلمي الإسلامي العدد ٥٦ . ٣٠\٠٤\٢٠٢٤.

- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، تحقيق: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الفكر بيروت، ودار الحديث القاهرة، ٢٠٠٨.
- المدخل إلى القيم الإسلامية، د. جابر قميحة، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٤.
- مسند الامام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، آخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ٢٠٠١.
- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩.
- مواقف الأسرة العربية من اضطراب الطفل، نصار كريستين، دار جروس برس، ١٩٩٣.
- Amadou Hampâté Bâ. Contes initiatiques peuls, op. cit:
- Gérard Bensussan, Les deux morales, Paris, Vrin, 2019.
- Rapport national sur l'élimination et le prévention des violences à l'égard des femmes/ filles février 2013.